

مجلة العلوم الإنسانية

دورية علمية محكمة تصدر عن جامعة حائل



السنة السابعة، العدد 21
المجلد الثاني، مارس 2024

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



جامعة حائل

مجلة العلوم الإنسانية

دورية علمية محكمة تصدر عن جامعة حائل

للتواصل:

مركز النشر العلمي والترجمة

جامعة حائل، صندوق بريد: 2440 الرمز البريدي: 81481



<https://uohjh.com/>



j.humanities@uoh.edu.sa

نبذة عن المجلة

تعريف بالمجلة

مجلة العلوم الإنسانية، مجلة دورية علمية محكمة، تصدر عن وكالة الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي بجامعة حائل كل ثلاثة أشهر بصفة دورية، حيث تصدر أربعة أعداد في كل سنة، وبحسب اكتمال البحوث المجازة للنشر. وقد نُجحت مجلة العلوم الإنسانية في تحقيق معايير اعتماد معامل التأثير والاستشهادات المرجعية للمجلات العلمية العربية معامل "Arcif" المتوافقة مع المعايير العالمية، والتي يبلغ عددها (32) معياراً، وقد أُطلق ذلك خلال التقرير السنوي الثامن للمجلات للعام 2023.

رؤية المجلة

التميز في النشر العلمي في العلوم الإنسانية وفقاً لمعايير مهنية عالمية.

رسالة المجلة

نشر البحوث العلمية في التخصصات الإنسانية؛ لخدمة البحث العلمي والمجتمع المحلي والدولي.

أهداف المجلة

تهدف المجلة إلى إيجاد منافذ رصينة؛ لنشر المعرفة العلمية المتخصصة في المجال الإنساني، وتمكن الباحثين -من مختلف بلدان العالم- من نشر أبحاثهم ودراساتهم وإنتاجهم الفكري لمعالجة واقع المشكلات الحياتية، وتأسيس الأطر النظرية والتطبيقية للمعارف الإنسانية في المجالات المتنوعة، ووفق ضوابط وشروط ومواصفات علمية دقيقة، تحقيقاً للجودة والريادة في نر البحث العلمي.

قواعد النشر

لغة النشر

- 1- تقبل المجلة البحوث المكتوبة باللغتين العربية والإنجليزية.
- 2- يُكتب عنوان البحث وملخصه باللغة العربية للبحوث المكتوبة باللغة الإنجليزية.
- 3- يُكتب عنوان البحث وملخصه ومراجعته باللغة الإنجليزية للبحوث المكتوبة باللغة العربية، على أن تكون ترجمة الملخص إلى اللغة الإنجليزية صحيحة ومتخصصة.

مجالات النشر في المجلة

تتم مجلة العلوم الإنسانية بجامعة حائل بنشر إسهامات الباحثين في مختلف القضايا الإنسانية الاجتماعية والأدبية، إضافة إلى نشر الدراسات والمقالات التي تتوفر فيها الأصول والمعايير العلمية المتعارف عليها دولياً، وتقبل الأبحاث المكتوبة باللغة العربية والإنجليزية في مجال اختصاصها، حيث تعنى المجلة بالتخصصات الآتية:

- علم النفس وعلم الاجتماع والخدمة الاجتماعية والفلسفة الفكرية العلمية الدقيقة.
- المناهج وطرق التدريس والعلوم التربوية المختلفة.
- الدراسات الإسلامية والشريعة والقانون.
- الآداب: التاريخ والجغرافيا والفنون واللغة العربية، واللغة الإنجليزية، والسياحة والآثار.
- الإدارة والإعلام والاتصال وعلوم الرياضة والحركة.

أوعية نشر المجلة

تصدر المجلة ورقياً حسب القواعد والأنظمة المعمول بها في المجالات العلمية المحكمة، كما تُنشر البحوث المقبولة بعد تحكيمها إلكترونياً لتعم المعرفة العلمية بشكل أوسع في جميع المؤسسات العلمية داخل المملكة العربية السعودية وخارجها.

ضوابط وإجراءات النشر في مجلة العلوم الإنسانية

أولاً: شروط النشر

1. أن يتسم بالأصالة والجدة والابتكار والإضافة المعرفية في التخصص.
2. لم يسبق للباحث نشر بحثه.
3. ألا يكون مستلماً من رسالة علمية (ماجستير / دكتوراة) أو بحوث سبق نشرها للباحث.
4. أن يلتزم الباحث بالأمانة العلمية.
5. أن تراعى فيه منهجية البحث العلمي وقواعده.
6. عدم مخالفة البحث للضوابط والأحكام والآداب العامة في المملكة العربية السعودية.
7. مراعاة الأمانة العلمية وضوابط التوثيق في النقل والاقتراس.
8. السلامة اللغوية ووضوح الصور والرسومات والجداول إن وجدت، وللمجلة حقها في مراجعة التحرير والتدقيق النحوي.

ثانياً: قواعد النشر

1. أن يشمل البحث على: صفحة عنوان البحث، ومستخلص باللغتين العربية والإنجليزية، ومقدمة، وصب البحث، وخاتمة تتضمن النتائج والتوصيات، وثبت المصادر والمراجع باللغتين العربية والإنجليزية، والملاحق اللازمة (إن وجدت).
2. في حال (نشر البحث) يزود الباحث بنسخة إلكترونية من عدد المحلة الذي تم نشر بحثه فيه، ومستلاً لبحثه .
3. في حال اعتماد نشر البحث تؤول حقوق نشره كافة للمحلة، ولها أن تعيد نشره ورقياً أو إلكترونياً، ويحق لها إدراجه في قواعد البيانات المحلية والعالمية - بمقابل أو بدون مقابل - وذلك دون حاجة لإذن الباحث.
4. لا يحق للباحث إعادة نشر بحثه المقبول للنشر في المحلة إلا بعد إذن كتابي من رئيس هيئة تحرير المحلة.
5. الآراء الواردة في البحوث المنشورة تعبر عن وجهة نظر الباحثين، ولا تعبر عن رأي مجلة العلوم الإنسانية.
6. النشر في المحلة يتطلب رسوم مالية قدرها (1000 ريال) يتم إيداعها في حساب المحلة، وذلك بعد إشعار الباحث بالقبول الأولي وهي غير مستردة سواء أجاز البحث للنشر أم تم رفضه من قبل المحكمين.

ثالثاً: الضوابط والمعايير الفنية لكتابة وتنظيم البحث

1. ألا تتجاوز نسبة الاقتباس في البحوث (25%).
2. الصفحة الأولى من البحث، تحتوي على عنوان البحث، اسم الباحث أو الباحثين، المؤسسة التي ينتسب إليها - جهة العمل، عنوان المراسلة والبريد الإلكتروني، وتكون باللغتين العربية والإنجليزية على صفحة مستقلة في بداية البحث. الاعلان عن أي دعم مالي للبحث- إن وجد. كما يقوم بكتابة رقم الهوية المفتوحة للباحث ORCID بعد الاسم مباشرة. علماً بأن مجلة العلوم الإنسانية تنصح جميع الباحثين باستخراج رقم هوية خاص بهم، كما تتطلب وجود هذا الرقم في حال إجازة البحث للنشر.
3. ألا يرد اسم الباحث (الباحثين) في أي موضع من البحث إلا في صفحة العنوان فقط..
4. ألا تزيد عدد صفحات البحث عن ثلاثين صفحة أو (12.000) كلمة للبحث كامل أيهما أقل بما في ذلك الملخصين العربي والإنجليزي، وقائمة المراجع.
5. أن يتضمن البحث مستخلصين: أحدهما باللغة العربية لا يتجاوز عدد كلماته (200) كلمة، والآخر بالإنجليزية لا يتجاوز عدد كلماته (250) كلمة، ويتضمن العناصر التالية: (موضوع البحث، وأهدافه، ومنهجه، وأهم النتائج) مع العناية بتحريرها بشكل دقيق.
6. يُتبع كل مستخلص (عربي/إنجليزي) بالكلمات الدالة (المفتاحية) (Key Words) المعبرة بدقة عن موضوع البحث، والقضايا الرئيسية التي تناولها، بحيث لا يتجاوز عددها (5) كلمات.

7. تكون أبعاد جميع هوامش الصفحة: من الجهات الأربعة (3) سم، والمسافة بين الأسطر مفردة.
8. يكون نوع الخط في المتن باللغة العربية (Traditional Arabic) وبمجم (12)، وباللغة الإنجليزية (Times New Roman) وبمجم (10)، وتكون العناوين الرئيسية في اللغتين بالبنط العريض. (Bold).
9. يكون نوع الخط في الجدول باللغة العربية (Traditional Arabic) وبمجم (10)، وباللغة الإنجليزية (Times New Roman) وبمجم (9)، وتكون العناوين الرئيسية في اللغتين بالبنط العريض. (Bold).
10. يلتزم الباحث برومنة المراجع العربية (الأبحاث العلمية والرسائل الجامعية) ويقصد بها ترجمة المراجع العربية (الأبحاث والرسائل العلمية فقط) إلى اللغة الإنجليزية، وتضمينها في قائمة المراجع الإنجليزية (مع الإبقاء عليها باللغة العربية في قائمة المراجع العربية)، حيث يتم رومنة (Romanization / Transliteration) اسم، أو أسماء المؤلفين، متبوعة بسنة النشر بين قوسين (يقصد بالرومنة النقل الصوتي للحروف غير اللاتينية إلى حروف لاتينية، تمكن قراء اللغة الإنجليزية من قراءتها، أي: تحويل منطوق الحروف العربية إلى حروف تنطق بالإنجليزية)، ثم يتبع بالعنوان، ثم تضاف كلمة (in Arabic) بين قوسين بعد عنوان الرسالة أو البحث. بعد ذلك يتبع باسم الدورية التي نشرت بها المقالة باللغة الإنجليزية إذا كان مكتوباً بها، وإذا لم يكن مكتوباً بها فيتم ترجمته إلى اللغة الإنجليزية.

مثال إيضاحي:

الشمري، علي بن عيسى. (2020). فاعلية برنامج إلكتروني قائم على نموذج كيلر (ARCS) في تنمية الدافعية نحو مادة لغتي لدى تلاميذ الصف السادس الابتدائي. مجلة العلوم الإنسانية، جامعة حائل، 1(6)، 98-87.

Al-Shammari, Ali bin Issa. (2020). The effectiveness of an electronic program based on the Keeler Model (ARCS) in developing the motivation towards my language subject among sixth graders. (in Arabic). *Journal of Human Sciences, University of Hail*.1(6), 98-87

السميري، ياسر. (2021). مستوى إدراك معلمي المرحلة الابتدائية للإستراتيجيات التعليمية الحديثة التي تلي احتياجات التلاميذ الموهوبين من ذوي صعوبات التعلم. المحلة السعودية للتربية الخاصة، 18(1): 48-19.

Al-Samiri, Y. (2021). The level of awareness of primary school teachers of modern educational strategies that meet the needs of gifted students with learning disabilities. (in Arabic). *The Saudi Journal of Special Education*, 18 (1): 19-48.

11. يلي قائمة المراجع العربية، قائمة بالمراجع الإنجليزية، متضمنة المراجع العربية التي تم رومنتها، وفق ترتيبها الهجائي (باللغة الإنجليزية) حسب الاسم الأخير للمؤلف الأول، وفقاً لأسلوب التوثيق المعتمد في المجلة.
12. تستخدم الأرقام العربية أينما ذكرت بصورتها الرقمية. (Arabic... 1,2,3) سواء في متن البحث، أو الجداول والأشكال، أو المراجع، وترقم الجداول والأشكال في المتن ترقيماً متسلسلاً مستقلاً لكل منهما، ويكون لكل منها عنوانه أعلاه، ومصدره - إن وجد - أسفله.
13. يكون الترقيم لصفحات البحث في المنتصف أسفل الصفحة، ابتداءً من صفحة ملخص البحث (العربي، الإنجليزي)، وحتى آخر صفحة من صفحات مراجع البحث.

14. تدرج الجداول والأشكال- إن وجدت- في مواقعها في سياق النص، وترقم بحسب تسلسلها، وتكون غير ملونة أو مظلمة، وتكتب عناوينها كاملة. ويجب أن تكون الجداول والأشكال والأرقام وعناوينها متوافقة مع نظام APA-

رابعاً: توثيق البحث

أسلوب التوثيق المعتمد في المجلة هو نظام جمعية علم النفس الأمريكية (APA7)

خامساً: خطوات وإجراءات التقديم

1. يقدم الباحث الرئيس طلباً للنشر (من خلال منصة الباحثين بعد التسجيل فيها) يتعهد فيه بأن بحثه يتفق مع شروط المجلة، وذلك على النحو الآتي:
أ. البحث الذي تقدمت به لم يسبق نشره (ورقياً أو إلكترونياً)، وأنه غير مقدم للنشر، ولن يقدم للنشر في جهة أخرى حتى تنتهي إجراءات تحكيمه، ونشرة في المجلة، أو الاعتذار للباحث لعدم قبول البحث.
ب. البحث الذي تقدمت به ليس مستلاً من بحوث أو كتب سبق نشرها أو قدمت للنشر، وليس مستلاً من الرسائل العلمية للماجستير أو الدكتوراة.
ج. الالتزام بالأمانة العلمية وأخلاقيات البحث العلمي.
د. مراعاة منهج البحث العلمي وقواعده.
هـ. الالتزام بالضوابط الفنية ومعايير كتابة البحث في مجلة حائل للعلوم الإنسانية كما هو في دليل الكتابة العلمية

المختصر بنظام APA7

2. إرفاق سيرة ذاتية مختصرة في صفحة واحدة حسب النموذج المعتمد للمجلة (نموذج السيرة الذاتية).
3. إرفاق نموذج المراجعة والتدقيق الأولي بعد تعبئته من قبل الباحث.
4. يرسل الباحث أربع نسخ من بحثه إلى المجلة إلكترونياً بصيغة (word) نسختين و (PDF) نسختين تكون إحداها بالصيغتين خالية مما يدل على شخصية الباحث.
5. يتم التقديم إلكترونياً من خلال منصة تقديم الطلب الموجودة على موقع المجلة (منصة الباحثين) بعد التسجيل فيها مع إرفاق كافة المرفقات الواردة في خطوات وإجراءات التقديم أعلاه.
6. تقوم هيئة تحرير المجلة بالفحص الأولي للبحث، وتقدير أهليته للتحكيم، أو الاعتذار عن قبوله أولاً أو بناء على تقارير المحكمين دون إبداء الأسباب وإخطار الباحث بذلك

7. تملك المحلة حق رفض البحث الأولي ما دام غير مكتمل أو غير ملتزم بالضوابط الفنية ومعايير كتابة البحث في مجلة حائل للعلوم الإنسانية.
8. في حال تقرر أهلية البحث للتحكيم يُخطر الباحث بذلك، وعليه دفع الرسوم المالية المقررة للمجلة (1000 ريال) غير مستردة من خلال الإيداع على حساب المحلة ورفع الإيصال من خلال منصة التقديم المتاحة على موقع المحلة، وذلك خلال مدة خمس أيام عمل منذ إخطار الباحث بقبول بحثه أولاً وفي حالة عدم السداد خلال المدة المذكورة يعتبر القبول الأولي ملغي.
9. بعد دفع الرسوم المطلوبة من قبل الباحث خلال المدة المقررة للدفع ورفع سند الإيصال من خلال منصة التقديم، يرسل البحث لمحكمين اثنين؛ على الأقل.
10. في حال اكتمال تقارير المحكمين عن البحث؛ يتم إرسال خطاب للباحث يتضمن إحدى الحالات التالية:
 - أ. قبول البحث للنشر مباشرة.
 - ب. قبول البحث للنشر؛ بعد التعديل.
 - ج. تعديل البحث، ثم إعادة تحكيمه.
 - د. الاعتذار عن قبول البحث ونشره.
11. إذا تطلب الأمر من الباحث القيام ببعض التعديلات على بحثه، فإنه يجب أن يتم ذلك في غضون (أسبوعين) من تاريخ الخطاب) من الطلب. فإذا تأخر الباحث عن إجراء التعديلات خلال المدة المحددة، يعتبر ذلك عدولاً منه عن النشر، ما لم يقدم عذراً تقبله هيئة تحرير المجلة.
12. يقدم الباحث الرئيس (حسب نموذج الرد على المحكمين) تقرير عن تعديل البحث وفقاً للملاحظات الواردة في تقارير المحكمين الإجمالية أو التفصيلية في متن البحث
13. للمحلة الحق في الحذف أو التعديل في الصياغة اللغوية للدراسة بما يتفق مع قواعد النشر، كما يحق للمحررين إجراء بعض التعديلات من أجل التصحيح اللغوي والفني. وإلغاء التكرار، وإيضاح ما يلزم.
14. في حالة رفض البحث من قبل المحكمين فإن الرسوم غير مستردة.
15. إذا رفض البحث، ورجب المؤلف في الحصول على ملاحظات المحكمين، فإنه يمكن تزويده بهم، مع الحفاظ على سرية المحكمين. ولا يحق للباحث التقدم من جديد بالبحث نفسه إلى المحلة ولو أجريت عليه جميع التعديلات المطلوبة.
16. لا تردّ البحوث المقدمة إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر، ويخطر المؤلف في حالة عدم الموافقة على النشر
17. ترسل المحلة للباحث المقبول بحثه نسخة معتمدة للطباعة للمراجعة والتدقيق، وعليه إنجاز هذه العملية خلال 36 ساعة.
18. هيئة تحرير المجلة الحق في تحديد أولويات نشر البحوث، وترتيبها فنياً.

المشرف العام

سعادة وكيل الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي

أ. د. عبد العزيز بن سالم الغامدي

هيئة التحرير

رئيس هيئة التحرير

أ. د. بشير بن علي اللويش

أستاذ الخدمة الاجتماعية

أعضاء هيئة التحرير

أ. د. وافي بن فهد الشمري

أستاذ اللغويات (الإنجليزية) المشارك

أ. د. ياسر بن عايد السميري

أستاذ التربية الخاصة المشارك

أ. د. نواف بنت عبدالله السويداء

استاذ تقنيات تعليم التصميم والفنون المشارك

محمد بن ناصر اللحيدان

سكرتير التحرير

أ. د. سالم بن عبيد المطيري

أستاذ الفقه

أ. د. منى بنت سليمان الذبياني

أستاذ الإدارة التربوية

أ. د. نواف بن عوض الرشيد

أستاذ تعليم الرياضيات المشارك

أ. د. إبراهيم بن سعيد الشمري

أستاذ النحو والصرف المشارك

الهيئة الاستشارية

أ.د فهد بن سليمان الشايح

جامعة الملك سعود - مناهج وطرق تدريس

Dr. Nasser Mansour

University of Exeter. UK – Education

أ.د محمد بن مترك القحطاني

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - علم النفس

أ.د علي مهدي كاظم

جامعة السلطان قابوس بسلطنة عمان - قياس وتقويم

أ.د ناصر بن سعد العجمي

جامعة الملك سعود - التقييم والتشخيص السلوكي

أ.د حمود بن فهد القشعان

جامعة الكويت - الخدمة الاجتماعية

Prof. Medhat H. Rahim

Lakehead University - CANADA

Faculty of Education

أ.د رقية طه جابر العلواني

جامعة البحرين - الدراسات الإسلامية

أ.د سعيد يقطين

جامعة محمد الخامس - سرديات اللغة العربية

Prof. François Villeneuve

University of Paris 1 Panthéon Sorbonne

Professor of archaeology

أ. د سعد بن عبد الرحمن البازعي

جامعة الملك سعود - الأدب الإنجليزي

أ.د محمد شحات الخطيب

جامعة طيبة - فلسفة التربية

فهرس الأبحاث

رقم الصفحة	عنوان البحث	م
27 - 13	أثر استخدام إستراتيجية التلمذة المعرفية في تدريس الكيمياء على تنمية مهارات التفاوض لدى طلاب المرحلة الثانوية د. محمد بن صالح الزامل	1
45 - 29	أثر استراتيجية محطات التعلم الرقمية على تنمية مهارات البحث العلمي لدى طلاب جامعة حائل د. فيصل بن فهد بن محمد الشمري	2
68 - 47	استراتيجية مقترحة لمواجهة مخاطر حروب الجيل الخامس من منظور التربية الإسلامية: دراسة وصفية كمية د. عتيق زايد الشمري	3
82 - 71	البدايات والنهايات في قصص حكيمة الحربي د. ناصر سليم محمد علي الحميدي	4
98 - 85	أقوال الإمام القتيبي (ت: 276هـ)، في الوقف والابتداء من خلال كتاب القطع والانتاف لأبي جعفر النحاس جمعاً ودراسة د. فيصل بن حمود الشمري	5
130 - 101	الفروق الاجتماعية وأثرها في عقد النكاح: دراسة فقهية نظامية مقارنة د. عبدالرحيم عجيان السناني	6
145 - 133	البلاغة القرآنية في آيات التعايش مع غير المسلمين د. عواد ملفي زايد الشمري أ.د. أحمد أحمد السيد شتيوي أ.د. أنسام محمد خالد الحسيني	7
183 - 147	درجة ممارسة طلبة جامعة المجمعة لقيم المواطنة الرقمية ودور الجامعة في تعزيزها د. خالد بن إبراهيم العفيصان	8
192 - 185	مظاهر تمكين المرأة من خلال قصة موسى مع امرأتي مدين (دراسة موضوعية) د. ماجد بن حامد الشاعر	9
215 - 195	معوّقات الاستثمار في الأعمال الفنية بالمملكة العربية السعودية من وجهة نظر سيدات ورجال الأعمال د. خلود بنت حمد العبيكان	10
241 - 217	نموذج مقترح لحوكمة الجامعات في المملكة العربية السعودية وتعزيز الزاهاة الأكاديمية د. هاني بنت عبد الله الحمود	11
253 - 243	On the Structure of Agreeing Possessive Particles S'ahib and Raafi in Najdi Arabic: Extending the Predication Approach د. عيسى بن صنتيان الرشيد	12

البلاغة القرآنية في آيات التعايش مع غير المسلمين

Quranic eloquence in verses on coexistence with non-Muslims

أ.د. أحمد أحمد السيد شتيوي
أستاذ البلاغة والنقد، قسم اللغة العربية
كلية الآداب والفنون، جامعة حائل

Prof. Ahmed Ahmad Al-Sayed Shteiwi

Professor, College of Arts and
Sciences, Department of Arabic Language,
University of Hail
0009-0006-6909-8941

د. عواد ملفي زايد الشمري
أستاذ البلاغة والنقد المساعد، قسم اللغة العربية
كلية الآداب والفنون، جامعة حائل

Dr. Awad Melfi Zayed Al-Shammary

Assistant Professor, College of Arts and
Sciences, Department of Arabic Language,
University of Hail
0009-0004-5173-4714

أ.د. أنسام محمد خالد الحسيني

أستاذ النحو والصرف، قسم اللغة العربية، كلية الآداب والفنون، جامعة حائل

Prof. Ansam Muhammad Khaled Al-Husseini

Professor of grammar and morphology, College of Arts and Sciences,
Department of Arabic language University of Hail, 0009-0002-6199-9631

قُدم للنشر في 2023/09/22، وقُبل للنشر في 2023/12/12

المستخلص

يهدف البحث إلى بيان إعجاز القرآن في آيات التعايش مع غير المسلمين ودراستها من الوجهة البلاغية، بدأ بحقوق غير المسلم، وواجباته، وضرورة التعامل معه بمكارم الأخلاق، ما لم ينصب عداء للإسلام، أو يقف أمام نشر دعوته، انطلاقاً من التدبير لمقام الآيات، وسياقها، وخصائص خطابها البياني؛ مع الإفادة من الكتب والبحوث التي آيات التعايش من الجوانب التربوية والثقافية، والأخلاقية، والدينية، والدعوية. واختار البحث المنهج الاستقرائي، فبدأ بجمع الآيات التي تتضمن فكرة واحدة، ويعالجها بلاغياً، والنظر في المفردات والتراكيب وبيدع النظم، وروعة التصوير، واستنباط المعاني من مجموعها. ويقوم البحث على مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة، تتناول المقدمة أهمية البحث، وأسباب اختياره، وأهدافه، وأسئلته، ومنهجه، والدراسات السابقة، وخطته، ويشمل المبحث الأول: بلاغة الآيات التي تتناول حقوق غير المسلمين. الثاني: بلاغة آيات التعامل مع غير المسلمين. الثالث: خصائص النظم في آيات التعايش مع غير المسلمين. وخاتمة، ومنها: تغليب أساليب الأمر والنهي المباشرة وغير المباشرة في الحديث عن حقوق غير المسلم. خصوصية خطاب القرآن في الحديث عن مولاة غير المسلمين وعدمها. ويوصي البحث بدراسة بلاغة آيات الصلاح في الإنسان والعمران، وآيات التعارف والمصالحة.

الكلمات المفتاحية: البلاغة القرآنية، التعايش، التسامح، البر.

Abstract

The research aims to explain the miracle of the Qur'an in the verses on coexistence with non-Muslims and study them from a rhetorical point of view. It begins with the rights of the non-Muslim, his duties, and the necessity of dealing with him with good morals, if he does not establish hostility to Islam, based on contemplating the position of the verses and their context. And the characteristics of her graphic speech. he researches chose the inductive approach and began by collecting verses that contain a single idea, and treats them rhetorically, looking at the vocabulary, structures, wonderful systems, and the splendor of photography, and deducing meanings from their totality.

The research is based on an introduction, a preface, three sections, and a conclusion. The introduction deals with the importance of the research, the reasons for choosing it, its objectives, its questions, its methodology, previous studies, and its plan. The first section includes: the eloquence of the verses that address the rights of non-Muslims. Second: The eloquence of the verses on dealing with non-Muslims. Third: Characteristics of systems in verses on coexistence with non-Muslims. And a conclusion, including: the predominance of direct and indirect methods of command and prohibition in talking about the rights of non-Muslims. The specificity of the Qur'an's discourse in talking about being friends with non-Muslims or not. The research recommends studying the rhetoric of the verses of righteousness in man and life, and the verses of acquaintance and reconciliation.

Keywords: Quranic eloquence, coexistence, Tolerance, Lord..

المقدمة

القرآن الكريم كتاب هداية للبشرية جميعا، أرشدها إلى ما فيه صلاحها، وضمن للجميع حقوقهم، دون تمييز للون أو جنس أو عرق، وأكد على التعايش السلمي، والمحافظة على حقوق وواجبات المختلفين في العقيدة، ومعاملتهم بمكارم الأخلاق، وحميد الصفات، ووجد في الجانب الآخر آيات قليلة تحذر من موالة غير المسلمين، بعد نصبوا العداء، ووقفوا أمام نشر دعوة الإسلام، وصدوا عن سبيله، وتمسك نفر من المسلمين بهذه الآيات القليلة، فعمموا الأحكام، ودعوا إلى قطيعة التعامل مع غير المسلمين، دون النظر إلى بلاغة القرآن، وخصوصية التعبير، والوقوف على السياق والمقام، وأسباب النزول فغابت عنهم المقاصد العظمى، والغايات الكبرى؛ فضلا عن كثرة الآيات التي تدعو إلى إنفاذ حقوق غير المسلمين المسلمين، والمعاشرة معهم بأمن وأمان، وعدل وإحسان، والوفاء بعهودهم؛ لهذا قصدنا البحث في آيات التعايش والتسامح مع غير المسلمين من الوجهة البلاغية، وإبرار الأسرار المستنبطة من الألفاظ وخصائص التراكيب ودلالاتها، وروعة التصوير، والكشف عن خصائص النظم وبديع التأليف، ودقة النسق.

أسباب اختيار البحث:

1. الوقوف على بلاغة آيات التعايش مع غير المسلمين، وبيان دقة الألفاظ وخصائص التراكيب ودلالاتها، وجمال التصوير.
2. كثرة الآيات التي تدعو إلى ضرورة المحافظة على حقوق غير المسلم، والتعامل انطلاقا من مكارم الأخلاق، وحميد الصفات.
3. بيان دور السياق والمقام في تحليل آيات التعايش مع الآخر بلاغيا.
4. الكشف عن خصوصية الخطاب القرآني بما يلائم مقتضى الحال في بناء العلاقة مع غير المسلم.

أهداف البحث:

1. بيان أسرار التعبير القرآني، وخصوصية الخطاب، وتصريف القول في آيات التعايش
2. بيان دور السياق والمقام في تحديد الغرض البلاغي في آيات التعايش.
3. الوقوف على بلاغة آيات التعايش مع غير المسلمين في بيان المعاني والمقاصد.
4. الكشف عن الأساليب والمعاني التي ترسم طبيعة التعامل مع غير المسلم، وأثرها الإيجابي على الفرد والمجتمع.

أسئلة البحث:

1. ما مفهوم التعايش؟
2. ما خصائص الألفاظ والتراكيب والصور البيانية في آيات التعايش مع غير المسلمين؟
3. هل للسياق والمقام دور في تحديد الغرض البلاغي في آيات التعايش؟
4. ما أثر الوقوف على بلاغة آيات التعايش مع غير المسلمين في بيان المعاني والمقاصد؟
5. ما الأساليب والمعاني التي يكثر حضورها في آيات التعايش والتسامح مع غير المسلمين؟

منهج البحث:

قام البحث على المنهج الاستقرائي، حيث يبدأ بجمع الآيات التي تتضمن فكرة واحدة، ويعالجها بلاغيا، من خلال تحليل المفردات والتراكيب وبديع النظم، وروعة التصوير، واستنباط المعاني من مجموعها. والربط بين المعاني في السورة الواحدة أو غيرها من السور التي تلتقي معها في المقصد العام، ومناسبة كل آية لسياقها.

الدراسات السابقة:

تناول عدد من الباحثين طبيعة علاقة المسلمين بغيرهم من جوانب تربوية وثقافية وأخلاقية ودينية، والاستشهاد على ذلك من القرآن والسنة، ومن هذه الدراسات:

دراسة (الهرباوي، 2020) وهدفت الكشف عن أهمية نشر التعايش بين أفراد المجتمع، وأهم المؤسسات المنوط بها تعزيز التعايش لدى أفراد المجتمع، وكيفية تنمية مفهوم التعايش بين الأديان لدى النشء.

وتناولت دراسة (الحيدان، 2017) التعايش في القرآن الكريم من الجانب التأصيلي؛ لأجل إبراز الأصول العامة من النصوص الشرعية التي تحدد طبيعة علاقة التعايش بين الآخرين، وشملت المباحث التعايش مع المسلمين خاصة وغير المسلمين عامة. والبحث جيدة في بائها لكنها بعيدة عن موضوع دراستنا التي تهتم بالجانب البلاغي لآيات التعايش مع غير المسلمين.

وقامت دراسة (أمين ومصطفى وداود ومحمد، 2017) ببيان جملة من المبادئ المقررة في الشريعة، كالمعايشة، والهداية، والوسطية، والبحث موضوعية لم تنظر إلى الجانب اللغوي أو البلاغي، وبيان وجه إعجاز القرآن في آيات التعايش مع غير المسلمين، وهو ما نقوم به في دراستنا.

وتناولت دراسة (عبد الله، 2018) آيات التعايش في القرآن الكريم من الرؤية الأصولية العامة، والوقوف على فهم روح التشريع

منبنة على التسامح في كل شؤون الحياة، وحث الإسلام على استعمال معالي الأخلاق ومكارمها، وترك المشاحة والتشردم، وأقر بالمساواة بين الناس، وإبعاد الطبقية، وحل مكانها الوحدة الإنسانية، وكان من آثارها التسامح والتعايش والبناء، وتجلت السماحة في القرآن الكريم، ووجوب البر بغير المسلمين والإقسط إليهم من الذين لم يقاتلوا المسلمين، قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المتحنة: 8]، وجاءت الأحاديث النبوية الكثيرة التي تحرم الظلم، وتكشف عن عواقبه وآثاره الوخيمة، وتطبيق التعايش والتسامح مع غير المسلمين دليل على القيم العليا، والقيم الحضارية، والقيم الخلقية وفيها يسمو المسلم بسلوكة الفاضل ويتعامل مع الآخرين بظهر ومحبة ووفاء وبر وصدق ووفاء.

المبحث الأول: بلاغة آيات ضمان حقوق وواجبات غير المسلم.

تضمنت آيات التعايش مع غير المسلم حقوقه في الترابط الاجتماعي، وبناء علاقات إنسانية سامية تقوم على التعامل بالاحسن، وتحرص على حقوقه المتنوعة.

بلاغة آيات التعايش والترابط مع الآخر:

قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخِطَابَهُ لِّلنَّبِيِّينَ وَآلِئِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الروم: 22]، وقال جل شأنه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: 13]، فالآية الأولى تقرر أن التنوع والاختلاف آية من آيات القدرة الإلهية في الخلق، ودليل على عظمته، أما الآية الثانية فبيان وإيضاح وتوجيه، وإخبار، فالتعاون والسلام والتعارف والمودة وسيلة تضمن السعادة للإنسان، وتحقق له مطالبه المادية والمعنوية. ويلحظ الجامع بينهما في الخطاب الجمعي (كم، وا)، والكشف عن الهدف، وهو النواد والتراحم والتعاطف في الدنيا، وقد استهلكت الآية الثانية بالنداء للناس جميعا، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُ﴾، كناية عن المساواة بينهم، وجملة ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُ﴾ تعليل للنهي عن التفاخر، وكأها نتيجة للمقدمة قبلها، وفصلت عما قبلها؛ لأنها بمنزلة البيان لها، والجملة قبلها اعتراضية بقصد ادماج الهدف المقصود، وهو التعارف لا التناحر. وفي ذلك تأكيد على أن الاختلاف للتلاقي لا للتنافر والتعالي، وبيان لتساوي الناس في الكرامة الإنسانية، وأن الفارق الجوهري هو التقوى، فأنتم «مخلوقون لأن تعارفوا ولأن تعرفوا الحقائق، وأما الشرف والكرم فهو بتقوى الله تعالى وسلامة القلوب (ابن عطية، 2001: 174/6). وفي الآية تقرير لمبدأ الأخوة في النسب، فهم ينتمون إلى أصل واحد، وهذا داعٍ للاحترام والتقدير المتبادل، وتحويل

من خلال النصوص. ودعت إلى بث روح التعايش أطفال المدارس وغرس معاني الاحترام بينهم. والبحث جيدة في باهما، لكنه بعيدة عن موضوع دراستنا.

فآيات التعايش والتسامح مع غير المسلمين في القرآن الكريم من الجانب البلاغي لم تتناول من قبل، على حد علمنا، ولهذا أثرنا دراستها من هذا الجانب؛ رغبة في الكشف عن أسرار التراكيب، وبديع نظمها، وبيان الوجه الصحيح في فهم آيات التعايش انطلاقا من الوعي السياقي والبلاغي للوقوف للمقاصد والمعاني السامية التي تضمن السعادة والطمأنينة للإنسانية جميعا.

خطة البحث:

تتكون خطة البحث من مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة، تتناول المقدمة أهمية البحث، وأسباب اختياره، وأهدافه، وأسئلته، ومنهجه، والدراسات السابقة، وخطته، ويشمل المبحث الأول: بلاغة الآيات التي تتناول حقوق غير المسلمين. وتتناول المبحث الثاني: بلاغة آيات التعامل مع غير المسلمين. أما المبحث الثالث فيتضمن: خصائص النظم في آيات التعايش مع غير المسلمين. ثم خاتمة البحث وقائمة المراجع.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل

التمهيد

مفهوم التعايش:

جاء الإسلام هدى ورحمة للعالمين، ودعا إلى السماحة الإنسانية وطبقها النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- وصحبه الكرام، وأحدث تطورا إيجابيا ملحوظا في داخل الجزيرة العربية وخارجها، وسار على هديه الخلفاء الراشدين، وانطوى تحت لوائه ملايين البشر ينعمون بفضله، وعكست هذه المظاهر على مر التاريخ سلوك المسلمين عمليا، وساد بينهم وبين المخالفين لهم في العقيدة التعايش والتعاون والعدالة والحرية والإخاء والمودة، وكان التفاضل بينهم على التقوى والعمل الصالح، ولم يكن الاختلاف في العقيدة أو الأجناس والألوان والعناصر والبيئات عائقا أمام التعايش والتقارب والتآلف والوئام، وضمن الإسلام لغير المسلمين الحرية والعيش الآمن، فسان دور عبادتهم، وعمولوا بالبر والإحسان قولاً وعملاً، وحذر الإسلام من نقض العهود والمواثيق، ضمانا لأعراضهم ودمائهم. ويدل لفظ التعايش والتسامح على قبول الآخر والإقرار بحقوقه، وهذا يؤدي إلى المحبة والتآلف، والتسامح أداة للحياة الكريمة والتفاعل المثمر مع كل فئات المجتمع، وبذل ما تستطيع القيام به طواعية، وتقبل الآخر ومعايشته بلين مهما اختلفت معه، ونبذ الكراهية والتعصب والتشدد، والاستبداد، وطمس فكر الآخر وآرائه، والعمل على الجوانب المتفق عليها إنسانيا وتفعيلها من أجل النهضة التي تفيدهم جميع الأفراد. والسماحة تشمل أصول الدين وفروعه وصوره التي لا تكاد تحصر فهي تتسع باتساع معالم الدين، وعقيدة الإسلام

الحسنة، وترك أمر الاهتداء لله وحده، فالهداية هي مشيئة إلهية، كما هو صريح في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: 56]، هذا بيان صريح بأمر الهداية حيث يعود نفعه للمهتدي لا للدين، ومن أعرض فجزاؤه مقصور عليه، ويتضمن الشرط في الحالتين المقدمة والنتيجة، والصورتان متقابلتان، وهذا يعني أن تحمل المسؤولية من صاحب الاختيار، فلا يرمي أحد بأنه أرغمه على اعتقاد بعينه، وترك آخر.

آية يونس دليل على القدرية في أنه سبحانه وتعالى لو شاء إيمانهم لآمنوا، وفي قوله سبحانه ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ ترتيب الإكراه على المشيئة بالفاء، وإيلاؤها حرف الاستفهام للإنكار، أي: إنكار صدور الفعل من المخاطب لا إنكار كونه هو الفاعل، فالتقديم لتقوية حكم الإنكار لا التخصيص، إذ يمكن تحصيله بالإكراه عليه فضلاً عن الحث والتحريض عليه (الخفاجي، 1997: 106/5-107)، وأكد القرآن في أكثر من آية حق غير المسلم في اعتقاد ما يراه حقاً، وله الحرية الكاملة في تأدية شرائعه، بلا اضطهاد من مخالف ولا مصادرة لآرائه، وهو من يتحمل مسؤولية اختياره، شريطة ألا يؤدي المسلمون، أو يمنعهم من ممارسة عبادته (البيضاوي، 1999: 440/1).

بلاغة القرآن في آيات الحوار مع المخالف

علاقة التواصل بين بني الإنسان أمر فطري مع وجود الاختلاف، والموجه الرئيس في ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: 99]، وقوله جلَّ شأنه: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (118) إِلَّا مَنْ رَجِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: 118-119]، الآية الأولى تفيد أن تحقيق إيمان جميع المكلفين وجوداً وهدماً موقوف على مشيئته سبحانه مطلقاً، ومفعول المشيئة مقدر، والمعنى: لو شاء سبحانه إيمان من في الأرض من الثقلين لآمن (الألوسي، د ت: 127/8). وأفاد الاستفهام في قوله سبحانه: ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ﴾ تقوية حكم الإنكار، انطلاقاً من أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعتقد اشتراكه في ذلك، ولا انفراد به، وعدها الزمخشري من قبيل التخصيص؛ معتمداً في ذلك على حرص النبي وشغفه بإيمانهم، كأنه يعتقد قدرته (المنجور، 2009: 426/1)، وكلا المعنيين مفادان من الجملة، فالنكات البلاغية لا تتزاحم، وهذا من عطاء القرآن وبلاغته. أما قوله تعالى ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ قد تَبَيَّرَ الرَّشْدُ مِنَ الْعَيِّ ﴿[البقرة: 256]﴾، فاستهله بنفي الإكراه عن الدخول في الإسلام؛ لوضوح أدلته وسطوع براهينه على أنه الدين الحق، وجاء النسج القرآني معبراً عن المقصد صريحاً بإيجاز، وتكوّن التعبير من المقدمة والنتيجة، حيث نفى الإكراه عن الدين؛ لوضوح الحق من الباطل والرشد من الغي، ثم عبر عن الجزء لمن هدي إلى الرشد.

الاختلاف إلى أمر إيجابي، من خلال الاستفادة من القواسم المشتركة بين الناس، والبناء على وجود المصالح المتبادلة بينهم بغية تحقيقية الهدف الأسمى، وهو عمارة الأرض، فضلاً عن التواصل والتراحم والتواد، وبيان أن مجال التفاخر في الفضائل المعنوية، والطبائع النفسية المحمودة لا بالنسب والحسب، فالكرم بالقوى.

وتذليل الآية بقول ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ كناية عن الأمر بتزكية النيات في التعامل مع المختلفين، والتحول نحو الإيجابية، ولو كان مخالفاً للمألوف. وجاء التأكيد لحو ما ألفه المجتمع غير المسلم من تقسيم الناس وفق المنازع القبلية، والتعامل من منطلق طبقي يفرق ولا يجمع.

بلاغة آيات القرآن في بيان حرية اختيار غير المسلم عقيدته:

كفل الإسلام لغير المسلم حقه في اختيار عقيدته، قال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [الكهف: من الآية: 29]، وقال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ [الرعد: 40]. قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: 99]، قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۚ قَدْ تَبَيَّرَ الرَّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: 256]. دلت الآيات السابقة على سماحة الإسلام في عدم إكراه أحد على الدخول في دين الإسلام، وترك حرية الاعتقاد للناس جميعاً، وأنه مسؤول عن اختياره، وكشفت الآية الأولى عن المهمة الأساسية للنبي محمد صلى الله عليه وسلم. وهي عرض التعاليم الإسلامية أمام الناس جميعاً، وتركهم على حريتهم في الاعتناق، والفاء تدل على ترتيب ما بعدها من التهديد على الأمر، لا على مضمون المأمور به، والمعنى: قل لهم ذلك، فمن شاء أن يؤمن به أو أن يصدِّقك فيه فليؤمن ومن شاء أن يكفر به أو يكذبك فيه فليفعل (أبو السعود، د ت: 257/4). وقد بنيت آية الرعد في قوله ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ على القصر بطريق (إنما)، ويفيد قصر مهمة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. التبليغ فقط دون التجاوز إلى غيرها، وفي الجملة الثانية تأكيد مفاد من القصر، وهو أن أمر الحساب على اختيار العقيدة مرجعه لله تعالى. وأكدت آية فصلت على أن الهداية مشيئة إلهية

وحريقة الاعتقاد تقوم على عناصر ثلاثة: الأول: التفكير الحر الذي لا يخضع للتقليد. الثاني: منع الإكراه على اعتناق عقيدة معينة تحت تهديد أو تحويق أو تعذيب. الثالث: أن يكون حرّاً في شؤون دينه، لا يمنع اضطهاد من إظهار دينه وإقامة شعائره. وحينما دعا القرآن إلى الدين الإسلامي كان للتحرر من التقليد، كما دعا إلى التفكير في الكون المنظور على أساس وبرهان، والتعرف على الحقائق التي لا تقبل خلافاً، والتأمل في خلق السموات والأرض وما بينهما (أبو زهرة، 1426: 97-98)، فلكل إنسان قراره في اختيار عقيدته، فعلى المسلمين ألا يتشغلوا بهذا الأمر، غير أن عليهم الدعوة إلى الإسلام بالحكمة والموعظة

بلاغة آيات القرآن حق غير المسلم في الحفاظ على دمه وعرضه وماله وكرامته، وصيانة دور عبادته:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۗ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: 151]. قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الإسراء: 33] ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: 32]، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء: 70]. قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفُتِنَتْ صَوَامِعُ وَبَيْعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: 40]. ضمن الإسلام العيش الآمن للناس جميعاً، وأشرت الشريعة الإسلامية غير المسلمين مع المسلمين في الحقوق العامة، وحفظت لهم أمنهم وسلامتهم، ودماءهم وأعراضهم وكرامتهم، وصانت دور عبادتهم، وجعل ذلك من أسباب الإذن بالقتال لحماية دور عبادة غير المسلمين، ووعد من يقاتل دفاعاً عنها بالنصر، وأكدت آيات القرآن تقدير غير المسلم، ومراعاة حقوقه انطلاقاً من إنسانيته، والناظر في نسيج الآيات يقف على بلاغتها. وبدأت الآية الأولى والثاني بالنهاي الصريح المؤكد على ضرورة الترفع عن الفعل الشنيع ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ وهذا يعني أن المسلم مأمور بحماية غير المسلمين، وأكدت على حرمة قتل النفس بلا تفرقة بين مسلم وغير مسلم، وصدرتنا بأسلوب النهي الصريح، وجعل الله تعالى قتل النفس بغير وجه حق قتل للبشرية جميعاً، كما في آية المائدة، أي: تسبب لبقاء نفس واحدة موصوفة بعدم ما ذكر من القتل والفساد في الأرض إما بنهي قاتلها أو استنقاذها، أو غير ذلك من أسباب الهلكة، ودلالة التشبيه في قوله سبحانه: ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ تحويل أمر القتل، وتفخيم شأن الإحياء من خلال تصوير إيجاب الرهبة والرغبة، وصدر النظم الكريم بضمير الشأن (أَنَّهُ)؛ لزيادة تقرير ما بعده، وتمكينه من ذهن السامع، فضلاً عن كمال شهرته ونباهته، وسرعة تبادره إلى الأذهان، وذكر الضمير الموجب؛ لزيادة تقرير ما بعده في الذهن (أبو السعود، د ت: 229/2)؛ ولهذا لا يصح إلحاق الأذى بأي نفس بغير وجه حق، ولا يجوز قتال غير المسلم إلا إذا كان ردّاً على عدوان قام به، أو نقض عهداً، أو منع وصول الدعوة الإسلامية للناس، أو دفعا لظلم وقع على مستضعف، وعلى هذا لا يجوز إزاء الذمي باللسان، أو باليد، وهذا أيضاً للمسلم وغير المسلم سواء بسواء.

وكرامة الإنسان مصانة دون النظر لعقيدته ولونه وجنسه، واستهلت الآية بالتأكيد المتتابع، للدلالة على أن الله وحده هو صاحب القول فيه، ولا دخل فيه لبشر، ولم يذكر متعلق التكريم للدلالة على عمومته لجميع الخلق بلا تفرقة. وحماية دور العبادة لغير المسلم يجب الحفاظ عليها، وجاء ترتيب دور العبادة مخالفاً لترتيب الوجودي له؛ وذلك لمناسبة بينها وبين المساجد، وقيل

إنما جيء بهذه المتبادعات على هذا النسق للانتقال من شريف إلى أشرف؛ فإن البيع أشرف من الصوامع؛ لكثرة العباد فيها فإنها معبد للربان وغيرهم، والصوامع معبد للربان فقط، وكنائس اليهود أشرف من البيع؛ لأن حدوثها أقدم وزمان العبادة فيها أطول، والمساجد أشرف من الجميع؛ «لأن الله تعالى قد عُبد فيها بما لم يعبد به في غيرها» (أبو السعود، د ت: 87/3). لقد ترك الإسلام لغير المسلم حرية اختيار دينه، وأباح له ممارسة شعائره، وأوجب على المسلمين الدفاع عن أماكن عبادته.

بلاغة آيات التعايش في الحديث عن السلام والتسامح والعفو مع غير المسلم

الإسلام يدعو إلى التسامح والعفو؛ رغبة في إيجاد علاقات سوية بين الناس جميعاً، وعدم الاستيلاء عليهم بالقهر أو الغلبة، خاصة إذا رغبوا في السلام والاستلام، يقول جلّ شأنه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَن آتَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنَدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: 94]. استهلت الآية بأسلوب النهي (ولا تقولوا)، وفي ذلك دلالة على الأثر السيء لفعل المنهي عنه، ويسجل القرآن مناقشة المؤمن للدخول في الإيمان حديثاً مجتاً عن صدقه، والإسراع في الحكم بعمده ﴿لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾؛ الداعي للنفي هو الرغبة في ماله، وفي هذا زيادة في التوبيخ والتقريع، وقد كشفت جملة ﴿تَبْغُونَ﴾ عن المعاني النفسية المقبوتة الطالبة للمال لا غيره؛ وفي هذا دعوة للمراجعة، وتصحيح للإيمان، وفي ذكر ﴿عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ تحقير لها، ودلالة على نفعها الزائل؛ لهذا أعقبها ما يجب التمسك به ﴿فَعِنَدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ﴾ من الاطمئنان النفسي، ورضا الله تعالى، والاعتزاز بالقيام بالواجب، والرجاء في ثواب الله تعالى، كما دل قوله: ﴿كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِّن قَبْلُ﴾ على التذكير بالفضل، والتحول الإيجابي الحاصل من الدخول في الإيمان بعد الكفر، وهذه تربية عظيمة، تُشعر الإنسان عند مؤاخاته غيره أن يتذكر أحواله السابقة التي لا تختلف عن أحوال من يؤخيه؛ ليرتدع ويتراجع عما هو عازم عليه من العنف والقسوة واللهث وراء متاع الحياة الدنيا، فضلاً عن الترفع عن ما يقعد عن الهدف الرئيس، وهو تحقيق الإيمان الخالص وأثاره في السلوك الاجتماعي. هذا، والآية تتضمن حكمة عظيمة في الترابط الإنساني، وبث الثقة والأمان بين الأفراد، وإزاحة الشك الذي قد يطرأ بدافع غير حقيقي، والتدخل وخيم العاقبة، فضلاً عن الرغبة في نشر المحبة والبشاشة في قلوب الآخرين، وكسب ثقته على يدخل في الإيمان، ويصدق في القول والفعل (ابن عاشور، 2000: 226/4-227).

المبحث الثاني: بلاغة آيات التعايش مع الآخر:

بلاغة آيات القرآن في تحقيق العدل مع غير المسلمين:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۗ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۗ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ

للتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿المائدة: 8﴾. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ وَيَعْظُمُ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿النحل: 90﴾. من مظاهر التعايش مع الآخر تحقيق العدالة الإنسانية، فالبر والقسط هدفان رئيسان يجب على المسلم تطبيقهما للناس جميعاً، وهذا من خصائص الشريعة السمحة فقد رسخت صفة إنصاف المخالفين، ودعت إلى تحقيق العدل في كل مجالات الحياة معهم، بلا تغليب للهوى، أو رغبة في الميل عن الحق لعداوة، ويؤيد ذلك قوله جلّ وعلى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾، الآية صريحة في أن العدل مع الطرف الآخر دليل التقوى؛ لإحقاقه الحق، والاعتراف به حتى لو كان في صالح مخالفه. ولما كان الحديث عن المعاني النفسية حيث البغض والكراهة للمخالف جاء قوله سبحانه ﴿شَتَّانَ﴾ على معنى: لا يملئكم بغضكم للمشركين على ترك العدل معه، فتعدوا عليهم انتصاراً منهم لأنفسكم، وتشفياً بما في قلوبكم من الضغائن بسبب ما ارتكبهو مجاهكم من قذف أو قتل أولاد أو نساء أو نقض عهد، وتدل الكلمة بجرحها وإحسانها على المعاني الغائرة في النفس، فهي مثابة حاجز منيع عن تطبيق العدل، لهذا حث القرآن على عدم تغليبها على الإنصاف، وإحماء كل المنازعات التي تقف حجر عثرة على تحقيقه، ونلاحظ النسخ القرآني البديع في ترتيب المقدمات على النتائج، وجاء التعقيب بقوله سبحانه ﴿اغْدُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ فقد نهاهم أولاً أن يكون حمل البغضاء يدعوهم لترك العدل، ثم استأنف فصّح لهم بالأمر بالعدل تأكيداً وتشديداً، ثم ذكر لهم وجه الأمر بالعدل، وهو أنه أقرب إلى التقوى، وأدخل في مناسبتها. وفيه تنبيه عظيم على أن وجود العدل مع الكفار الذين هم أعداء الله وإذا كان بهذه الصفة من القوة، وتطبيقه فينصح بتطبيقه مع المؤمنين من باب أولى (الزمخشري، 1987: 612-613/2).

ويلاحظ بلاغة القرآن في ترتيب المعاني في قوله ﴿قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾ حيث بدأ بالقيام لله تعالى في مقام ترك العداوة؛ وهذا أروع للمؤمنين، ثم ثنى بالشهادة بالعدل، بعد التخلي. ويلاحظ في الآية الربط بين فعل الأمر (اغدوا) وبين أثره الإيجابي ﴿هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾، وأما الأمر بالتعاون فهو تغليبٌ للنهي في قوله: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَتَّانٌ﴾، وفي النهي أيضاً توكيد للأمر السابق؛ لأن التعاون على فعل البر والتقوى له آثاره الطيبة، فيه تكسب محبة الناس، وإن كانوا غير مسلمين؛ طمعاً في هدايتهم، وفي هذا توجيه بضرورة تحقيق العدل مع غير المسلم، ولو كنت تبغضه، وفي هذا دعوة للحفاظ على النظام الاجتماعي الذي يعدّ العدل أقوى أركانه، وبفقدته ينهار البناء الإنساني. وجاء التعبير القرآني بنصه في آية سابقة من نفس السورة قال تعالى ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَتَّانٌ قَوْمٌ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا﴾ (المائدة: 2). تتفق هذه الآية مع السابقة في حض المؤمنين على مكارم الأخلاق، والعفو عمن حدثت منها إساءة للمؤمنين فحملوا في نفوسهم بغضاً وكراهة، وفي هذا دعوة على

عدم الانتقام، والانتصار لأنفسهم، ودلت الآية الثانية عن على البغضاء الحاملة على الانتصار، وهي صده الكفار للمؤمنين عن بيت الله الحرام عام الحديبية فقوله سبحانه ﴿أَنْ صَدُّوكُمْ فِي مَوْضِعِ الْمَفْعُولِ لِأَجْلِهِ، أَي أَنْ الشَّنَانِ وَالرَّغْبَةَ فِي الْإِنْتِقَامِ وَالْمَجَازَاةَ؛ وَهَذَا جَاءَ التَّحْذِيرِ مِنَ الْعِتْدَاءِ ﴿أَنْ تَعْتَدُوا﴾؛ لِأَنَّ هَذَا يَتَعَارَضُ مَعَ الطَّبِيعَةِ الْإِيمَانِيَّةِ، أَمَا الْآيَةُ الثَّانِيَّةُ فَلَيْسَ بِهَا إِفْصَاحٌ بِجَرِمَةٍ، بَلِ الْأَمْرُ لِلْمُؤْمِنِينَ بِالْعَدْلِ، وَهَذَا نَاسِبٌ وَصِيَّتُهُمْ بِهِ، وَتَقْيِيلُهُ وَاقْعِيَا ﴿عَلَىٰ أَلَّا تَعْدُوا﴾ أَعْدَاؤَكُمْ، وَبِأَنَّ هَذَا الْمُنَاسِبَةَ وَالِاتِّمَامَ بَيْنَ الْمَقْدَمَةِ وَالتَّيْجَةِ، وَوُرُودُ كُلِّ مِنَ الْمُنْهَىٰ عَنِ ارْتِكَابِهِ فِي الْآيَتَيْنِ عَلَىٰ مَا يَجِبُ وَيُنَاسِبُ الْمَقَامَ وَالْغَرَضَ (الغرناطي، 1983: 371/1). وجاء تذييل الآية بقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾؛ لتأكيد المعنى المرغوب في تحقيقه مع الناس جميعاً، وهو العدل، وبيان أن أيّ تصرف نحو الظلم واضح لرب البرية سبحانه، وفي ذلك «زيادة إلزام في طلب العدل بمعنى أن من يلجأ إلى التحايل في العدل، أو محاولة المكر واللباس الجور ثوب العدل فإن الله خير ومطلع على خبايا النفوس» (حفي، 1992: 53). ويلحظ تصريح بالأمر بالعدل وبيان أنه المؤدي للتقوى بعد ما نهاهم عن الجور، لكونه مقتضى الهوى (البيضاوي، 2002: 432/1). أما آية النحل فقد استفتحت بالخلق الكلي الذي يندرج تحته كل مكارم الأخلاق، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾، ولم يعين القرآن مجال العدل، ولا من يكون معه العدل ويشمله، وهذا دليل بياني على أنهما مطلبان يجب تحقيقهما مع المسلم وغير المسلم دون تفرقة، والعدل بداية الأمر، والإحسان ذروته ومنتهاه، والآية من باب الإيجاز بالقصر، وهي جملة جامعة لمكارم الأخلاق؛ لأن في أخذ العفو التساهل والتسامح في الحقوق واللين والرفق في الدعاء إلى الدين، وفي الأمر بالمعروف كف الأذى، وغض البصر، وفي الإعراض الصبر والحلم والتؤدة. (الطبي، 1986: 122)، ونص الجمل المتوالية في الآية خبري على معنى الأمر أي: أعدوا، وأحسنوا، وآتوا، وتركوا، وفي هذا دلالة على وجوب التنفيذ؛ لأنه أمر من العلي القدير، والتأكيد على أن فيه منفعة لهم، ودل ختام الآية ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ على المعنى المقصود منها، وهو أمرتكم، فتذكروا، ونفذوا ما أمرتم به، وترفعوا عن ضده.

ويلاحظ الانسجام والتناغم والترابط بين الجملتين من حيث توزيع المفردات وتتابعها ودلالاتها الاجتماعية ﴿يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ وَيَعْظُمُ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ كما يتضح التقابل بين المفاهيم في جملة الأمر وجملة النهي، مقابلة ثلاثة بثلاثة مع اتحادها في الحديث الموجه للجمع، فضلاً عن اتحادها في المسند إليه ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾، وفي النتيجة الواردة في تذييل الآية ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾. وقد ذكر ابن مسعود رضي الله عنه عن بلاغة هذه الآية بأنها أجمع آية في القرآن للخير والشر، ولو لم يكن في القرآن غيرها لصدق عليه أنه تبيان لكل شيء وهدى ورحمة للعالمين، ومجيئها عقب قوله تعالى في نفس السورة ﴿وَتَزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيْمَانًا كَلِّلَ شَيْءٍ وَهَدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (النحل: 89)؛ لمناسبتها لها، وارتباطها

بها، فهي مع وجازتها أيقظت عيون البصائر، وحركتها للنظر فيما عداها (الخفاجي، 1997: 642/5) وهذا منهج قرآني في رسم العلاقة بصورة إيجابية وفاعلة مع كل مكونات المجتمع أقرباء وغرباء، ومسلم وغير مسلم، وقد كشفت الآية من خلال نظمها عن الإعجاز البلاغي في النسخ، والهدف، والبناء، والنتائج.

بلاغة القرآن في خطاب المخالف بالحسنى

قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُم وَإِنَّا وَإِنَّا وَإِنَّا وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: 46]. قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۚ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: 125]. قال تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ [الإسراء: 53]. ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: 33]، قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۚ قُلْ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: 24]. الآيات السابقة ترسم المنهج السديد في خطاب الآخر بأسلوب موجز؛ لتحقيق الأهداف النبيلة، وتكشف عن سوء العاقبة في التخلي عن الطريق القويم في الحوار، وتؤكد على أن التعامل مع المخالف بمكارم الأخلاق، وحميد الصفات، والحفاظ على مشاعره، ومجادلته بالتي هي أحسن متى لزم الأمر، ضرورة التعايش السلمي، ووسيلة لبيان حقيقة دين الإسلام.

ويلحظ الارتباط الوثيق، وتعانق الدلالات بين آية النحل وآية الإسراء ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾، و﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا﴾، فالقول امتداد للدعوة، ويطلب أن يكون بالحكمة والمجادلة بالتي هي أحسن، وفيه انتقال من الخصوص إلى العموم (البقاعي، 2003: 74/5). ونصت آية فصلت على النتيجة الحقيقية لاستخدام محاسن القول، وهي إزالة العداوة والبغضاء، وتحويلها إلى محبة واحترام وود، وهذه غاية سامية، ومبتغى مأمول، فلا داعٍ للجدال المقنوع الذي يوغر الصدور، ويثير الفتنة، ويغضب الآخر بلا نتيجة واقعية، وتأسيساً على ما تقدم فإنه يجب الترفع عن الجفاء الجدلي لغياب التسامح في إطار حرية التدين أو الاعتقاد، ومن دلالات الحث على التعايش والتلطف والتودد في الحوار مع المخالف، وإنصافه في الخطاب، ما جاء في الآية الأخيرة، فقد أخرج الكلام الموقن بصدقه في هذه الآية مخرج الشك؛ للمبالغة في المعنى المراد، وإقامة الحجة على الطرف المعاند، وترك مساحة له للتفكير حتى يعود طواعية إلى الحق البين، وهذا من الكلام المنصف، وفيه دلالة واضحة على من هو من الفريقين على الهدى ومن هو في الضلال المبين، وكان التعريض والتورية أفضل بالمجادل إلى الغرض، وأهجم به على الغلبة، مع قلة شغب الخصم، وفل شوكته بالهوين، ونحوه قول الرجل لصاحبه: علم الله الصادق مني ومنك، وإن أصدنا لكاذب (الزمخشري، 1987: 581/3). وقد ناسب التعبير في الموعظة الأساسية، ولكنه يحتاج إلا مزيد من الموعظة التي ترقق القلب، وتزيد من الإقناع، بخلاف مقام الجدال، فلا يوجد بديل سوى التعبير بـ «التي هي أحسن» لقوة رد المخالف وشدة عناده، فوجه القرآن إلى أفضل الطرق وأنجعها في الإقناع والتأثير، وهذه تحتاج إلى فطنة الداعي، وسعة ثقافته بالمخالف، واختيار طريق الخطاب النافع والمؤثر، ومهما زاد عناد الطرف المخالف، فإن القرآن يوجه المسلم إلى العدل في الخصومة، والمساواة بين الأطراف، ودل النسق اللغوي في قوله سبحانه ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ على الاستدراج والاستمالة للطرف المعاند من خلال أفضل وسائل الحوار وأجمعها، لقيامها على الاحترام المتبادل، والنظر إلى الأمر بحيادية وإنصاف، ومحو أي مقدمات

وبدأت آية العنكبوت بالنهاي بصيغة الجمع عن الجدال الفاقدة لصفة الحسن؛ لعدم مناسبتها مع الشبهات المتفارقة من الطرف الآخر؛ لهذا لزم التنويه باختيار الأسلوب الأمثل، والممارسة الفاعلة نحو الاختلاف؛ وهذا يلزم من الداعية التحلي بالصبر والمثابرة والإخلاص، والثبات على الحق. وقوله ﴿إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ على معنى: لا تجادلوهم بجدال إلا بجدال بالتي هي أحسن، ودل اسم التفضيل «أحسن» على اختيار أفضل صور الجدال، أو المبالغة في الحسن، وأنه أقرب الطرق للوصول إلى قلب المتلقي؛ إذ الشيطان يُفسد ويهيج الشر والمراء، ويُغري بعضهم على بعض؛ لتقع بينهم المشاققة والمشاورة والمعاورة والمضارة، وهذا يؤدي إلى تأكيد العناد وتمادي الفساد، فهو تعليلٌ للأمر السابق (أبو السعود، د ت: 178/5). وأنَّ الجدال بالتي هي أحسن غرضه الإلزام والإفحام، وهذا يحتاج إلى الصبر والرفق والعلم قبل الدعوة، والرفق أثناءها والصبر بعدها (الليحيان، 1986: 278-279). وهذا يلتقي مع ما تقتضيه آية النحل، وآية فصلت من اختيار أحسن صور المجادلة حيث الرفق واللين وحسن القول للوصول إلى المقصود. والخطاب في آية النحل والإسراء يشمل كلُّ داع يدعو إلى الله، شريطة تطبيق هذه المعايير: (الحُكْمَةُ، وَالْمَوْعِظَةُ الْحَسَنَةُ، وَالْمُجَادَلَةُ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)، وهذا طريق الترفي والتصعيد في استخدام وسائل الإقناع، والحجج

الصدق في الولاء (عوض، 1964: 110). وهذا ضمان اجتماعي متباعد الأطراف لبناء كيان مجتمعي مختلف في الدين والثقافة والعادات والتقاليد، وتغليب روح الوثام بصور مختلفة، ويتجلى ذلك في الطعام والشراب وزواج المسلم من الكتيابية والسكن إليها. ولا شك أن التدافع الحضاري يفيد استمرار الحياة، بخلاف التصارع الذي يؤدي إلى الفناء، والأول ينشد الخير والحق والعدل والتسامح للإنسانية، وإذكاء روح التعارف الثقافي والعلمي، وإقصاء التوجهات الفكرية والأيدلوجية حتى لا تكون حجرة عثرة في الترابط والوثام (الهيبي، 1425: 148-150).

بلاغة الآيات التي تدعو إلى عدم مولاة غير المسلم

قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمُ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَضَاعُوا﴾ [البقرة: 217]، قال تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّبِعُوا مَنَّهُمْ ثِقَاءً وَمُجْرَمِينَ اللَّهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: 28]. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أُرِيدُوا أَن يَجْعَلُوا إِلَهًا عَلَيْكُمُ سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾ [النساء: 144]. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَّبِعْهُم فَبُغْيًا مِّنَ اللَّهِ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: 51]. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوعًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُفْرَهُمْ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: 57]. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَن يَتَّبِعْهُم فَبُغْيًا مِّنَ اللَّهِ وَالظَّالِمُونَ﴾ [التوبة: 23]. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوِّكُمْ أَوْلِيَاءَ ثَلُثُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تَتَّخِذُوا بِاللَّهِ رِجْئًا إِن كُنتُمْ حَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسْرِوْنَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَمْتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [المتحنة: 1].

هذه الآيات وغيرها تدعو المسلم إلى عدم مولاة من ليس مسلماً، وهذا يشمل كفار مكة وأهل الكتاب (اليهود والنصارى)، وهي مرتبطة بمقامتها، والتحذير جاء لبعض ضعاف الإيمان، الذين ظلوا على ولائهم القديم لليهود؛ ضماناً لحياتهم، ونلاحظ تصريف القول وسياسته في الحديث عن كلا الفريقين، فتارة يصرح بالفئة المستهدفة (الكافرون، اليهود والنصارى، أهل الكتاب)، وجميع الآيات اتخذت أسلوب النهي أداة لعدم الموالاة والاستلام لهم على حساب الموالاة للمسلمين، والتحذير من موالاة غير المسلم لأوصاف فيهم؛ فضلاً عن إيذائهم المسلمين قولاً أو فعلاً، أما من سالم المسلمين ولم يصد عن سبيل، ولم يتعرض للمسلمين بسوء من قول أو فعل فلا يضير من أكل طعامه، والزواج منهم، بل ولهم الحق في حفظ أمواله وعرضه وصيانة دور عبادته، ولا يشمل النهي من مولاته ومعاشيته، وقد

قد تفسد الحوار. وقد تحدت الآيات السابقة في الهدف العام، واختلف المنهاج التركيبي فيها بما يتناسب مع سياق كل سورة وغايتها، وتناوب أسلوب الأمر والنهي، وهذا من تصريف القول، وضروب بلاغة القرآن وإعجازها. ومن خلال سياق النظم في الجدال التي هي أحسن مع غير المسلمين يتبين أن حسن الجدال وتحري العدل والإنصاف في القول، والإحسان فيه مقدم على غيره؛ لما له من آثار إيجابية، أما إذا بلغ عناد الطرف الآخر مداً، فهذا لا فائدة في جداله؛ لغياب الهدف المنشود.

بلاغة التعايش مع الآخر بالزواج من نسائه والأكل من طعامه

إنَّ التعايش المفضي إلى التواصل والاختلاط مع أهل الكتاب على صعيد المأكَل والمشرب والزواج من محصنات أهل الكتاب أباحه المولى، قال تعالى في شأن هذه الإباحة: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلَلٌ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلَلٌ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [المائدة: 5]، فالآية تجسد الترابط العاطفي، والتعايش السلمي، والتماسك الإنساني، والمشاركة الاجتماعية، والاختلاط من أجل البناء، وبدا ذلك في تحليل الأطعمة، وتبادلها بين المسلمين وأهل الكتاب، بيعاً وشراءً، وتقبل كل منهم الآخر بمودة ومجاملة وتحاد وتضاييف وأكل وشرب، وهذه ترجمة واقعية، ودليل فاعل على التماسك الإنساني. ثم يترقى النص القرآني في ضمان الترابط والانسجام مع الآخر حيث الترابط الكلي، من خلال إقامة بيت يقوم على المودة والسكن والرحمة، فأحل زواج المسلم من النساء الطيبات وغيرها من أهل الكتاب، وقرن ذكرهن بذكر الحرائر العفيفات من المسلمات، وحذر من الكفر بشرائع الإسلام، وبما أحل الله وحرّم؛ حتى يظل العقد المتصل بالجانب الإنساني قائماً (الزحشري، 1987: 6/1-8).

ودل لفظ (اليوم) على الإعلام الصريح، وهو يفيد الإطلاق، ودلت جملة (وطعام الذين أوتوا الكتاب) على الرخصة والمنة العظيمة التي يحتاجها المسلمون بعد كثرة مخالطتهم لأهل الكتاب، تبعاً لمتطلبات الحياة، وأن تحريم طعامهم بعمومه على المسلمين فيه مشقة عليهم، وفي تخصيص الرخصة بأهل الكتاب دون غيرهم، لأنهم على دين إلهي يحرم الخبائث، ويتقي النجاسة، وانضباط شؤون حياتهم، وهي مستندة للوحي الإلهي (ابن عاشور، 2000: 44-43/5). وفي عطف (والمحصنات)، على (وطعام الذين أوتوا الكتاب) ترقى في الاحتياج والتواصل والترابط حتى الوصول إلى إباحة الزواج من الكتيابات تيسيراً، وفي هذا تقرير للتسامح مما يعود القلوب على الشعور بأن الدين معاملة بين العبد وربه، فالعقيدة طور من أطوار القلوب وأمرها بيد علام الغيوب، فهو الذي يحاسب عليها، وغاية العارف بالحق التنبيه والتعليم والنصح والإرشاد، دون كفر لنعمة العشير، أو أن يسلك مسلک التعسير، أو قطع الأمل في النصير، أو إخلال بالعهد، والحياد عن شرائع

أن يعودوا إلى ميثاق ربحم، والتعبير بـ(أهل الكتاب) فيه تنكيت بسبب كفرهم بكتابهم، ويلمح فيه معنى التهديد بإنزال عقوبة بهم نظير مكاربهم، وأن العقاب نازل بهم كما نزل بأسلافهم، وفي التعبير بأكثرهم (وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ)؛ تدليل على أنهم «الحاملون لأعقابهم على التمرد والعناد» (أبو السعود، د ت: 54/3). والاستفهام للإنكار بمعنى النفي، وفيه تأكيد للمعنى المقصود، واستخدام لفظ الكثرة دليل على وجود فئة مؤمنة، ولو كانت قليلة، ويجب أن يُكفل لها العيش في سلام، ويجب على جماعة المسلمين حمايتهم، والذود عن حياضهم. ويتجلى في قوله سبحانه: (وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ) دقة التعبير القرآني في إطلاق الأحكام؛ حيث الحكم على الكثير أو الأكثر، وهذا يعني أن هناك فئة مستثناة، وهم عدد من أهل الكتاب لا يزالون معتصمين بأصول الدين وجواهره من التوحيد، وَحُبِّ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ وَالْخَيْرِ، وهؤلاء هم الذين وصفهم القرآن بأنهم كانوا يُسَارِعُونَ إِلَى الْإِسْلَامِ، بعدما عرفوه، وأخذوا منه بنصيب كُلِّ مَنْ جَوَّهَرَ الدِّينَ وَنُورَ الْبَصِيرَةِ (عوض، 1947: 370/6). فناسبت الفاصلة سياق الآية، وتعانقت معها في الدلالة المقصودة.

وإشار التعبير ببعض الصيغ دون غيرها؛ لكونها أدل على المراد، كما قوله تعالى: ﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِيمَانِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السَّخِطَ﴾ ۚ لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿[المائدة: 62]، دل لفظ «كثيرا» على التغليب وليس العموم، وفي هذا تبيان لمنهج القرآن في الدعوة إلى العدل والإنصاف، مع فئة من اليهود والنصارى ولو كانت قليلة، وفي هذا تأكيد على عدم تعميم الأحكام، وأن الأولى التمييز بين الطوائف المختلفة من أهل الكتاب (للحيدان، 2017: 154). ونلاحظ سريان ألفاظ اللين والرأفة في خطاب غير المسلم المسلم، ويؤكد على ذلك ورود قوله تعالى: ﴿إِلَّا بِالَّذِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، في أربعة مواضع من القرآن ترسم سياسة الخطاب مع غير المسلم، ولم يذكر المفعول؛ للدلالة على العموم أي: أحسن من جميع زوايا الأداء، كما تدل صيغة «أحسن» على المبالغة في الخطاب، والترقي في الحلم والرفق بلا حد.

ومن خصائص التعبير في آيات التعايش مع غير المسلمين استعمال لفظة (من) الدالة على التخصيص مع أهل الكتاب، وهذا من تخصيص التخصيص، أي أن المودة ليست عامة، بل تختص بمن غلب السلم على الحرب، والعيش في كنف الإسلام بأمان ومودة، ومما جاء في هذا المعنى، قوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ [آل عمران: 72]، وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنُوا بِقِنطَارٍ يُؤَدُّ إِلَيْكُمْ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنُوا بِدِينَارٍ لَا يُؤَدُّ إِلَيْكُمْ إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾ [آل عمران: 75]. فمجيء «من» قبل في أكثر من موضع يؤكد على وجود فئة تستوجب معاملتها بالحسنى.

ومن صور دقة التعبير القرآني استعمال كلمة (فريق) كقوله تعالى: ﴿أَوَكَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا بَيْنَهُمْ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا

نصت الآيات على عدم مولاةم بسبب ما قدموه تجاه الإسلام والمسلمين (اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا)، (وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۚ أَنْ تَقُولُوا بِإِلَهِ رَبِّكُمْ)، ويلحظ تقديم النتائج على المقدمات، وهذا يتناسب مع مخالفة هؤلاء لطابع الإنساني السديد.

المبحث الثالث: خصوصية النظم في آيات مولاة غير المسلم وعدم مولاته

تعانق الألفاظ والمعاني:

الناظر في آيات التعايش والتسامح يلحظ دقتها في التعبير عن المعاني المقصودة، وكشفت عن الحدود الفاصلة بين ما تجوز مولاته من غير المسلمين وما لا تجوز، ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتَّبِعُونَ آيَاتِ اللَّهِ أَنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (113) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْتُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَتَّهِنُونَ مِنَ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران: 113-114]. تدل الآية على أن هناك فئة أخرى لا تعرف إلا العناد، والإصرار على الكفر، وهي فئة ممقوتة، و« المراد بنفي المساواة نفي المشاركة في أصل الانصاف بالقبائح المذكورة لا نفي المساواة في مراتب الانصاف بما مع تحقق المشاركة في أصل الانصاف بها، أي ليس جميع أهل الكتاب متشاركين في الانصاف بما ذكر من القبائح والابتلاء بما يترتب عليها من العقوبات» (أبو السعود، د ت: 72/2-73).

كثرت الآيات التي تحت إلى مولاة غير المسلم المسلم، والمعاشة معه، ومعاملته بالحسنى؛ ولهذا لا يجوز تعميم الأحكام على أهل الكتاب جميعاً، وذلك بنفي الخير عنهم جميعاً، فقد استثنى القرآن فئة منهم باقية على الحق أسلموا وآمنوا وصدقوا برسالة سيدنا محمد. صلى الله عليه وسلم؛ ولهذا وجب العدل فهم والبر بهم.

التعبير بالاسم (أهل الكتاب) بدلاً من الضمير العائد عليهم، بيان لفظة التي عرفت الحق منهم، واتسمت بالاستقامة، ودعت إلى المعروف، ونهت عن المنكر بعد أن صدقوا في إيمانهم، ثم أخذ القرآن في تعداد الصفات الفاضلة التي التصقت بالفئة المهنية للحق منهم، وما استحقوه من الرضا والجزاء (الزمخشري، 1987: 402/1). وهي ما يلزم التعايش معها، ومعاملتها بلين ورفق وإحسان. وأهل الكتاب ليسوا على منهج واحد، ولا يتساوون في صدق الإيمان بآيات الله، لهذا أوصى القرآن باحترامهم وتقديرهم، وحسن معاملتهم، فمنهم صالحون خاشعون له يأملون الأجر والثواب قال تعالى في تجلية هذه الحقيقة الدماغية: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُولَئِكَ هُمُ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [آل عمران: 199]. ومن بلاغة القرآن التعبير بالكثرة لا بالجمع في الحكم على أهل الكتاب، ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَقِيمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ ۗ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾ قال تعالى: [المائدة: 59]، فالنداء فيه أمر للنبي - صلى الله عليه وسلم - بدعوة أهل الكتاب إلى

ويلحظ القارئ تقديم التعامل بالبر والإحسان محددًا من يلزمه ذلك من غيره، فجاء النهي على قتالهم في الآية الأولى لعدم توفر الداعي لقتالهم، ونفي ما علق بالذهن من أن المخالف لا يستحق برًا ومودة، وفي هذا بيان للأولية في التعامل مع غير المسلم، ووضحت الآية التالية دافع قتالهم، فقال جل وعلى: كما يلوح الترابط بين المقدمة والنتيجة في الآيتين، فمن كف يده عن قتال المسلمين وإيذائهم وجب بره، والإحسان إليه، أما من قاتل جماعة المسلمين، وصددهم عن نشر دين الإسلام، فالواجب البعد عنه، وعدم اتخاذه وليًا؛ بسبب عنفه.

الترقي في آيات التعايش مع غير المسلم، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ (83) وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ (84) فَأَتَاهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا حَتَّىٰ تَبْجُرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَتَهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۗ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿85﴾ [المائدة: 83-85]، هذا لإلان صريح بأن أهل الكتاب ليسوا جميعًا ممن يلبسون الحق بالباطل، أو يحرفون الكلم عن مواضعه، ولا تقطع أواصر العلاقة معهم، ففيهم الأبرار الصادقون. وقد أكد على هذا المعنى بأكثر من صياغة، فقله: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ مَعْتُوفٍ عَلَى قَوْلِهِ: (لا يستكبرون)، فالاستجابة جاءت بسبب عدم الاستكبار؛ ولهذا كان الأثر واضحًا للعيان، وترجمته عمليًا من خلا فيض العيون بالدمع نتيجة رقة القلوب وخشيتها الناجمة الإيمان، وتأثرت ببعض ما سمعوا من القرآن، فماذا لو سمعوه كله؟! لقد أسرعوا في قبول الحق بلا عناد، وترى سرعة الاستجابة في قولهم (رَبَّنَا آمَنَّا)، وفي قوله: (وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ) تحقيق لإيمانهم وتقدير له بإنكار سبب انتفائه ونفيه بالكلية، وقد توجه الإنكار والنفي إلى السبب والمسبب جميعاً، فهم يطمعون في الصالحين، وهذه نعم يأملون تحقيقها، ولا يرون سببًا في عدم إيمانهم؛ ولهذا كان الجزء بالجنة نظير الاعتقاد الذي بدا واتضح (الزخشري، 1987: 669/1-670). وهذه مراجعة نفسية صادقة اعتمدت على الترفي في ضرورة الاستلام والإيمان لعدم وجود المعنى، وهذه حجة قوية يقيمونها على بني جلدتهم. وهذا الآية وغيرها من جملة الأسباب الداعية إلى ضرورة التعايش مع الفئة المعتدلة التي تعيش في خندق الاستلام.

خصوصية تصوير نقض العهود والمواثيق

قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَعْمَلُونَ﴾ (91) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَقَضَتْ عُزَّتَهُمْ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَالًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۗ إِنَّمَا يَبُلُوكُمْ اللَّهُ بِذِهِ وَلِيَبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿92﴾ [النحل: 91-92]. هذا حق أصيل يتساوى فيه الناس جميعاً، وله أثر العميق في تحقيق الأمن والسلام والاستقرار، وهو يشمل كل طاعة، ونكث العهد يتضمن كل معصية. والآيات السابقة تركز

يُؤْمِنُونَ ﴿البقرة: 100﴾، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ فَرِيضَةً مِنْهُمْ لِيُكْتَبُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 146]، وفي ذلك تخصيص لمن عانده، واستثناء لمن آمن (الخنفاجي، 1997: 240/2).

ومن الصور -أيضاً- التعبير بكلمة (طائفة) نحو قوله تعالى: ﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [آل عمران: 69]، ومثله قوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَيْنَا الَّذِي آمَنُوا وَجَهَ النَّهَارَ وَكُفُّوا أَعْيُنَهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [آل عمران: 72]، وفي هذه الآيات توجيه يمثل الجانب العملي في الأمر بالعدل مع الآخر، وإن وجدت فئة أو طائفة تحمل الكره والبغضاء لجماعة المسلمين (الدغشي، 2004: 37-39). وفي هذا دليل على عدم تعميم الأحكام، والدعوة لقطع التعامل مع كل أهل الديانات الأخرى، فلكل قاعدة استثناءات.

بلاغة التعبير بالنهي

نلاحظ دلالة النهي في قوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (8) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿الممتحنة: 9.8﴾، والمعنى: لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين، من جميع أصناف الملل والأديان أن تبرؤهم وتصلوهم، وتقسطوا إليهم، إن الله عز وجل عم بقوله: (الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ)، جميع من كان ذلك صفته، فلم يخص به بعضاً دون بعض، وقوله: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) أي أن الله يحب المنصفين للناس جميعاً بلا نظر إلى لون أو جنس أو عقيدة، فضلاً عن البر والإحسان. (الطبري، 2000: 323/23). والمقصود بقوله «وتقسطوا إليهم» إعطاؤهم قسطاً من أموالكم على وجه الصلة، وليس العدل؛ لوجوبه فيمن قاتل وفيمن لم يقاتل (ابن العربي، د ت: 1985/4). والآيتان ترسمان للمسلمين المنهج الذي يجب أن يسيروا عليه مع غيرهم، وهو أن من لم يقاتلهم من الكفار، ولم يعمل أو يساعد على إلحاق الأذى والضرر بهم، فلا بأس من بره وصلته، ومن قاتلهم وحاول إيذائهم فعليهم أن يقطعوا صلتهم به، وأن يتخذوا كافة الوسائل لردعه وتأديبه، حتى لا يتجاوز حدوده معهم (طنطاوي، 1999: 23/17)، فمن اختار العيش في كنف المسلمين مسالماً كان له العدل والبر والمناصرة، وفي هذا إغلاق للخواطر التي قد تطرأ في طبيعة التعامل مع غير المسلم، وبذلك ضبط الإسلام آداب التعامل والمعايشة مع غير المسلمين من الترفق بهم، وتحمل الأذى الذي قد يطرأ من مجاورتهم، وحفظ غيبتهم، ودفع من يحاول إيذائهم. وفي التعامل مع المسالمين من أهل الكتاب استخدم القرآن أسلوب الترفي معهم، فليس الأمر مقتضياً على المعاملة الحسنة، بل ترفي إلى البر والإحسان الذي لا حد له، وجاء تذييل الآية مؤكداً جمال هذا الصنيع، وهذا مما يحبه تعالى ويجزي عنه الثواب الجزيل، فأجر الفاعل لذلك في الدنيا والآخرة.

مقدر تقديره (وكيف أصنع؟)، ويرجع ذلك إلى المبالغة «والإشارة إلى أنه مهم ينبغي الاعتناء به والسؤال عنه، لقد جمعت الآية مكارم الأخلاق وأنواع الحلم، والمعنى: ادفع أمورك وما يعرضك مع الناس ومخالطتك لهم بالفعل أو بالسيرة التي هي أحسن السير والفعالات، فمن ذلك بذل السلام، وحسن الأدب، وكظم الغيظ، والسماحة في القضاء والاقضاء وغير ذلك (ابن عطية، 2007: 484/7). وتلاحظ النتيجة الحتمية للمقدمة المؤثرة في قوله سبحانه: ﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾، والمعنى: إن فعلت ذلك صار عدوك المشاق مثل الولي الشفيق (الألوسي، د ت: 199/18)، وتدل (كأن) المفيدة للتشبيه على التحول الإيجابي من الشيء إلى ضده، فيصبح العدو ولياً حميماً من أثر الدفع بالتالي هي أحسن، وبهذا تزول العداوة بالكلية، وهذا من باب الترفي الشعوري، والفعل العملي، كما يدل التشبيه بـ «كأن» على المبالغة في المعنى، واندماج طريقي الصورة، يقول عبد القاهر الجرجاني: «واعلم أن ليس شيء أبين وأوضح وأحرى أن يكشف الشبهة عن مئامته في صحة ما قلناه من التشبيه فإنك تقول: زيد كالأسد أو شبيهة بالأسد. فنجد ذلك كله تشبيهاً عُفلاً ساذجاً. ثم تقول: كأن زيدا أسد. فيكون تشبيهاً أيضاً. إلا أنك ترى بينه وبين الأول بؤناً بعيداً لأنك ترى له صورة خاصة وتجذك قد فحمت المعنى وزدت فيه بأن أفدت أنه من الشجاعة وشدة البطش وأن قلبه قلب لا يخامره الذعر ولا يدخله الروع بحيث يتوهم أنه الأسد بعينه. ثم تقول: لئن لقيته ليلقيتك منه الأسد فتجده قد أفاد هذه المبالغة، ولكن في صورة أحسن وصفة أخص ذلك أنك تجعله في «كأن» يتوهم أنه الأسد وتجعله هاهنا يرى منه الأسد على القطع فيخرج الأمر على حدّ التوهم إلى حدّ اليقين (الجرجاني، 1992: 425). والآية دليل عملي على ضرورة تعامل غير المسلم بتسامح، وإقامة ترابط عملي مع الأمم المختلفة، والتخلص من العصبية المقيتة، وبهذا تكون الآثار الإيجابية، وفيه تأكيد على أن راقية في تعاملها مع الآخر بنص القرآن الكريم، فهي تقوم على التدافع لا التصارع، والبناء لا الهدم؛ ولهذا بقيت آثاره مستمرة.

الخاتمة

بعد المعاشرة لآيات التعايش مع غير المسلمين، من الوجهة البلاغية نسجل أهم النتائج التي توصل إليها البحث، ومنها:

- تأخي الألفاظ والمعاني والترابط بينها في إيجاز وإحكام، وإيثار بعض المفردات والصيغ الدالة على المراد.
- غلبة أساليب الأمر والنهي المباشر وغير المباشرة بغرض توجيه المسلمين، وإرشادهم بضرورة الحفاظ على حقوق غير المسلمين المسلم، وعدم أذاهم بقول أو فعل، كما وجهته إلى معاملته بمكارم الأخلاق، وحميد الصفات.
- بلاغة التصوير في ضرورة الوفاء بالعهود والمواثيق، وناسبت صورة المشبه به المعنى المراد. وهو التحذير من

على الوفاء بالعهود والمواثيق بلا تفرقة في دين، أو لون، أو جنس؛ لأهميته في بناء العلاقات الإنسانية، أفراداً وشعوباً وقبائل، وهو باعث على تجديد الثقة في النفوس، وقد أوجب الإسلام على المسلمين الوفاء بعهودهم، وحذرهم من نقضه؛ ولهذا جاء التعبير عن ذلك بفعل الأمر الوجوبي «أوفوا» للتذكير بما تعاهدوا عليه سابقاً، وأتعب الأمر بالنهي في الآية الثانية؛ للتحويل، فالتحذير من نقض العهد بعد توثيقه لطارئاً بطراً جرم عظيم، وهذا ما دل عليه قوله ﴿بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾، وقد أكد بقوله ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ أي: لا تقضوا الإيمان بعد أن جعلتكم الله كفيلاً على أنفسكم، وأقسمتم على العهد باسمه، فلا مجال للرجوع، ويمتد التأكيد على ضرورة الوفاء بالعهد، بالصورة البلاغية المنزوعة من البيئة، وما تتضمنه من معنى الاستهزاء، لما قامت به المرأة من فعل مردود، حيث قامت بعمل مفيد، وهو الغزل ثم تنقضه، وفي هذا إفساد لما كان نافعا محكما من عملها، وإرجاعه إلى ما كان من قبل، فيفوت الجهد والوقت، وفي هذا تقريب لمعنى النقص، وتيقين لإبطال العهد بعد توثيقه (ابن عاشور، 2000: 212/13). ونلاحظ دقة التمثيل وإحكام بنائه، وصدق المماثلة بين طريقي الصورة التشبيهية، والتدرج في بنائها من المعنوي إلى الحسي، ليثبت المعنى، ويوصل إلى الغرض المسوق له، وهو الترفع عن نقض العهود والمواثيق بعد عقدها؛ لما يترتب على ذلك من آثار غير مرضية، كغياب الثقة على مستوى الأفراد والمجتمعات والدول، وتغييب الأمن والسلام، وهذا يتوافق مع كل زمان ومكان، ويلحظ التحول والأثر في صورة المشبه به، والجمع بين الشيء وضده. ولما كان الوفاء بالعهد خلق عظيم، وحق لا يمكن الرجوع أكد عليه في أكثر من آية بعد ذلك في نفس السورة. وتنوع أسلوب القرآني في الحديث عن الوفاء بالعهد بين الأمر بالتنفيذ، والنهي عن النقض والبطلان؛ لانقضاء المصلحة، أو تغيير حصل من الطرف الآخر، وبلغ عدد الآيات في بيان أحكام الإسلام الخاصة بالعهود، وفي إشداده بالموفين بالعهد أكثر من عشرين آية، وأن الوفاء بالعهد فضيلة، ونقضه كبيرة من الكبائر في حق القريب والبعيد والمسلم وغير المسلم.

نفي المساواة في التعامل مع الآخر

قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: 34]، بين الآية صور التعامل مع المخالف والأثر المرتب على الفعل والقول الحسن، ويفهم بطريق المخالف الفعل والقول السيء وما يترتب عليه من نتائج مؤسفة. وتلاحظ الدقة القرآنية في اختيار أفعال التفضيل أحسن «مكان الحسنه؛ ليكون أبلغ في الدفع؛ لأن من دفع بالحسن هان عليه الدفع بما هو دونها، ومن مظاهر الدفع بالحسن المقابل للسيئة الصبر عند الغضب، والحلم عند الجهل، والعفو عند الإساءة (الزحخشري، 1987: 200/4). ويلحظ التواضع بين المعاني، والوصل بينها بلا عطف في قوله: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، فالجملة جواب عن سؤال

- نقض العهد، فيضيع السلم والأمن للأفراد والشعوب.
- برز تعانق المعاني وتراطبها سواء أكان في السورة أم في عدة سور من القرآن لما بينهما من وشائج في المقصود والغاية.
 - كثر ورود ألفاظ اللين والرحمة والمودة والمعاملة بالحسنى لمن لم ينصب عداً للمسلمين، أو يصد عن سبيل الله.
 - جاء التحذير بأسلوب النهي المباشر من موالاة الكفار وأهل الكتاب الذين يقدمون الحرب على السلم، والغدر على الوفاء، والخيانة على الأمانة، وعاندوا وكابروا.
 - ضرورة تحكيم السياق في النظر في بلاغة القرآن الكريم عامة، وآيات التعايش مع غير المسلمين بشكل، حتى تعمم الأحكام؛ لأن هناك من أهل الكتاب من رق قلبه، وخضع للحق؛ ولهذا يجب النظر إلى خصوصية الخطاب ودلالته.
 - حذر القرآن الكريم في آيات التعايش من عدم معاملة غير المسلم بالعدل والإحسان؛ بسبب ما قدمه بعضهم من إساءة، وجاء التوجيه بالنهي الصريح، وهذه من المعاني النفسية التي تحتاج دائماً إلى التذكير بحقوق الآخر، وعدم الرغبة في الاقتصاص.
- ويوصي البحث بدراسة بلاغة الآيات التي تندرج تحت موضوع واحد، وتحليلها في ضوء نظرية النظم، كآيات الصلاح في الإنسان والعمران، وآيات التعارف والمصالحة.
- وجود الصلة بين آيات التعايش وإن تفرقت في السورة الواحدة أو عدة سور من القرآن، وأن التشابه في بعض أجزاءها ناتج عن التوافق في المعنى، ويبقى لكل آية خصوصيتها التي ترتبط بمقاصد السورة.
- نتقدم بخالص الشكر والتقدير لعمادة البحث العلمي بجامعة حائل لتمويلها للمشروع البحثي رقم (BA-2125).**
- المراجع:**
- ابن العربي، أبو بكر محمد عبد الله. (1785). أحكام القرآن. (ط1). [تحقيق: علي محمد الجاوي]. دار الجيل.
- ابن عاشور، محمد الطاهر. (2000). تفسير التحرير والتنوير. (ط1). مؤسسة التاريخ.
- ابن عطية الأندلسي، أبو محمد عبد الحق. (2007). تفسير المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. [تحقيق: الرحالة الفاروق وآخرين]. (ط2). دار الخير.
- أبو السعود، العمادي محمد بن محمد بن مصطفى. (د ت). إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم. دار إحياء التراث العربي.
- أبو زهرة، محمد (1426). المجتمع الإنساني في ظل الإسلام. (ط1). هدية مجلة الأزهر.
- الألوسي، شهاب الدين محمد الألوسي. (د ت). روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. دار إحياء التراث العربي.
- أمين، محمد ومصطفى، زانا وداود، مازية ومحمد، نور أمالي. (2017). مظاهر التسامح الإسلامي مع غير المسلمين دراسة تحليلية. *مجلة الإسلام في آسيا*. 14 (2). 162-189.
- البقاعي، برهان الدين. (2003). نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. (ط2). دار الكتب العلمية.
- البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله. (2002). تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل. (ط1). دار البيان العربي.
- الجرجاني، عبد القاهر. (1992). دلائل الإعجاز. (ط3). [قرأه وعلق عليه: محمود محمد شارح]. مطبعة المدني.
- حفي، عبد الحليم. (1992). إنصاف الخصم في القرآن وأثره الإعلامي. (ط1). الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- الحفاجي، شهاب الدين أحمد بن محمد. (1997). حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي. (ط1). دار الكتب العلمية.
- الدغشي، أحمد محمد. (2004). صورة الآخر في فلسفة التربية الإسلامية. (ط1). *مجلة المعرف*. العدد (13).
- الزخشري، محمود بن عمر. (1987). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. (ط3). دار الريان للتراث.
- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، (2000). جامع البيان في تأويل القرآن. (ط1). [تحقيق: أحمد محمد شاكراً]. مؤسسة الرسالة.
- طنطاوي، محمد سيد. (1999). التفسير الوسيط. (ط4). طبعة الشؤون الإسلامية.
- الطبي، شرف الدين الحسين بن محمد بن عبد الله. (1986). التبيان في البيان. (ط1). [تحقيق: توفيق الفيصل، وعبد الله لطف الله]. دار السلاسل.
- عبد الله، محاسن حسن الفضل. (2018). التعايش في القرآن الكريم دراسة تأصيلية. المؤتمر القرآني الدولي السنوي المقدس 7. ص 1-39.
- عوض، محمد عبده. (1947). تفسير القرآن الحكيم، المشتهر باسم تفسير المنار. (ط2). دار المنار.

عوض، محمد عبده. (1964). الإسلام دين العلم والمدنية. (ط1). [تحقيق وتعليق: طاهر طنناحي]. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

الغرناطي، أحمد إبراهيم بن الزبير الثقفى. (1983). ملاك التأويل القاطع بذوي الاحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل. (ط1). [تحقيق: سعيد الفلاح]. دار الغرب الإسلامي.

اللحيدان. عبد الله بن إبراهيم اللحيدان. (2017). دعوة غير المسلمين إلى الإسلام في المجتمع الإسلامي. (ط1). دار الحضارة للنشر والتوزيع.

المنجور، أبو العباس أحمد بن علي. (2009). مراقبي المجد لآيات السعد. (ط1). [تحقيق: مبارك بن شتيوي الحبيشي]. عمادة البحث العلمي الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

الهرباوي، فاطمة فايز. (2020). دور التربية في تعزيز التعايش بين الأديان. *مجلة العلوم التربوية والنفسية*، المجلد 4 (38). 122 - 142.

Amin, Muhammad Zana, Mustafa, Mazia, Daoud, Nur Amali Muhammad. (2017). Manifestations of Islamic tolerance towards non-Muslims, an analytical study. (In Arabic) *Journal of Islam in Asia* 14 (2), pp. 162189-.

Al-Daghashi, Ahmed Muhammad. (2004). The image of the other in the philosophy of Islamic education. (In Arabic). First edition. *Saudi Arabia: Al-Ma'rifah Magazine*, Issue: 13.

Abdullah, Hassan Hassan Al-Fadl. (2018). Coexistence in the Holy Qur'an is an original study. (In Arabic) The Annual International Qur'anic Conference, Muqaddas 7, pp. 139-.

Al-Herbawi, Fatima Faye. (2020). The role of education in promoting coexistence between religions. (In Arabic). *Journal of Educational and Psychological Sciences*, Volume 4 (38). pp. 122142-.